الهيئة الملكية لمحافظة العلا
ROYAL COMMISSION FOR ALULA

مسارات تقدم
رؤية مستقبلية

صناعة التميّز في الفنون:
كيف نصبح قوةً ثقافية

الهيئة الملكية لمحافظة العلا
ROYAL COMMISSION FOR ALULA

المحتويات

مقدمة 03

1. رحلة نحو القمّة: آفاق جديدة في بناء القوة الثقافية 04

الموجة الكورية: قصة نجاح في الاستثمار الثقافي 05

العُلا، المملكة العربية السعودية: لقاء الثقافة والطبيعة في رؤية مستقبلية 06

تطوير حي الجديدة للفنون 07

ما بعد تجربة بيلباو 08

الاستثمار في البنية التحتية الثقافية يشهد ازدهارًا 09

2. الإنسان والثقافة: المجتمعات في قلب المشهد 11

قضية الثقافة 12

الثقافة في قلب المجتمع 13

المجتمعات مسؤولة عن تشكيل مصيرها الثقافي 13

إعادة تصوّر دور المتحف 14

التراث الحي: الأصالة والاستمرارية الثقافية 15

3. المنصات الثقافية: تأثير تطوير الوجهات على الحوار العالمي 16

تبادل المعرفة محرك لا غنى عنه للنهضة الثقافية 17

المؤسسات الثقافية يمكنها إعادة تشكيل الحوار العالمي 18

المنصات الرقمية تعزز الروابط العالمية الجديدة 18

الخاتمة: كيف نصبح قوةً ثقافية 19

عن العلا 21

FT LONGITUDE

This content was produced in collaboration with FT Longitude, the specialist research and content marketing division of the Financial Times Group, on behalf of Royal Commission for AlUla.

مقدمة

ما الهدف من الاستثمار في الثقافة والإبداع؟

كثيرًا ما يغفل صنّاع السياسات والمخطّطون عن الدور المحوري للثقافة والقطاعات الإبداعية كمحرك للازدهار الاقتصادي وركيزة أساسية في مسيرة التنمية المستدامة والمتجدّدة.

لكنّ المشهد بدأ يتغير، فقد بدأت مشاريع تنموية رائدة حول العالم في تبنّي رؤية جديدة تضع الثقافة في قلب عملية التطوير. حيث أدرك روّاد التخطيط الثقافي القوة الحقيقية للثقافة في تحريك دفّة التنمية الاقتصادية وصياغة هوية أصيلة نابضة بالحياة تجذب المقيمين والزوّار على حدٍ سواء.
فمن خلال الاستثمار في التراث الثقافي الفريد لكل وجهة وإعادة اكتشاف كنوزها، يحقّق صنّاع القرار هدفين أساسيين: إحياء صفحات تاريخية طواها النسيان، وتوفير منصة فريدة للحوارات المجتمعية الملهمة حول تحديات عصرنا. وفي هذه الرحلة، ستشهد الخريطة الثقافية العالمية أسماءً لامعة جديدة وستُضاف إلى قطاع السياحة قيمة استثنائية.

ينبع هذا التأثير العالمي من نهج محلي في تخطيط الوجهات، يمكّن المجتمعات من رسم ملامح بيئتها بأيديها. فتجد هذه المجتمعات نفسها أمام منظومة متكاملة تفتح أمامها آفاقًا جديدة للتعبير الثقافي والإبداعي، وتمنحها القدرة على إعادة تفسير تراثها بروح معاصرة، وتجعلها حارسة أمينة على مشهدها الطبيعي مع اغتنام الفرص الاقتصادية الواعدة كالسياحة الثقافية.

يأخذنا هذا التقرير في رحلة لاستكشاف كيف يشكل هذا النهج الشامل والمجتمعي أكثر المشاريع الثقافية إلهامًا في عالمنا اليوم. سنكتشف معًا دوره في فتح آفاقٍ جديدةٍ للتفاعل مع جوانب طواها النسيان من تراثنا ومع التحديات الكبرى التي تواجه المجتمعات، وكذلك دعم ظهور قوى ثقافية جديدة سترسم خريطة الثقافة العالمية في السنوات المقبلة.

"من أبرز التحوّلات في السياسة الثقافية اليوم ذلك التركيز المتزايد على الإبداع اليومي: فكرة أن كل مجتمع وكل فرد يحمل في داخله طاقة إبداعية. يجب أن نوفّر لهم الموارد والبنية التحتية التي تطلق العنان لهذا الإبداع وتمكنهم من الاستمتاع بحياة أكثر إثراءً وابتكارًا."

الدكتورة هاي-كيونغ لي
أستاذة السياسات الثقافية
كلية كينجز لندن

1

رحلة نحو القمّة:

آفاق جديدة في بناء القوة الثقافية

تنطلق أكثر النماذج والاتجاهات إلهامًا في تعزيز القطاعات الثقافية والإبداعية من خارج العالم الغربي.

فبدءًا من تطوير قطاعات ثقافية تعيد صياغة الذائقة العالمية، إلى إحياء المواقع التاريخية التي تروي قصة تراثنا الإنساني المشترك، يرسم المخططون الثقافيون وصناع السياسات دروبًا جديدة لإطلاق الطاقات الثقافية الكامنة.

الموجة الكورية: قصة نجاح في الاستثمار الثقافي

تلقي الدكتورة هاي-كيونغ لي، أستاذة السياسات الثقافية في كلية كينجز لندن، الضوء على كيف أصبحت آسيا اليوم مختبرًا للابتكار والإبداع في دعم الثقافة والقطاعات الإبداعية.

تقول الدكتورة لي: "في قلب المجتمعات غير الغربية، وخاصةً الاقتصادات المتقدمة كاليابان وكوريا الجنوبية والصين، يتجذّر وعيٌ عميق بضرورة تعزيز الهوية الثقافية وحمايتها، ودعم التعبير الثقافي المحلي بكل أشكاله."

وتضيف الدكتورة لي: "هذا الوعي المتجذّر أثمر عن مبادرات استراتيجية على مختلف مستويات الحكومات. ويُبدي صنّاع السياسات، من الحكومات المركزية إلى المحلية، التزامًا راسخًا بدعم المؤسسات الثقافية، الهدف هو إثراء المشهد الثقافي وتنوعاته وفتح أبواب الإبداع أمام الجميع."

خلال العقود الثلاثة الماضية، سطع نجم كوريا الجنوبية كقصة نجاح استثنائية. فما بات يُعرف بالموجة الكورية، أو الهاليو، قدّم للعالم موسيقى "الكيبوب" التي اكتسحت قوائم الأغاني العالمية؛ وأبهر الجماهير في السينما من خلال فيلم "Parasite" الحائز على الأوسكار، أمّا على صعيد الدراما التلفزيونية، فقد حقّق مسلسل "Squid Game" نجاحًا مدويًا على منصة Netflix.

لم يكن هذا النجاح وليد الصدفة. فقد تبنت الحكومات الكورية المتعاقبة رؤية استراتيجية عميقة لقيمة النشاط الثقافي والإبداعي، رؤية تتجاوز البعد الاقتصادي لتدرك أن الرهان أكبر بكثير. وقد لعبت البيئة الديمقراطية وحرية التعبير دورًا جوهريًا في نسج هذا النجاح الثقافي الاستثنائي. تستفيض الدكتورة لي في حديثها قائلةً: "أصبح العالم يتحدث بإعجابٍ عن القوة الناعمة الكورية. هذه القوة تستند إلى أركان راسخة: الديمقراطية والإبداع في صناعة المحتوى الذي تغذيه آليات السوق وتدعمه الحكومة، وهكذا تحوّلت الثقافة إلى جسر ذهبي تعبر عليه الدول نحو العالمية."

فقد ساعد الاستثمار في التعليم وتطوير المهارات في صقل المواهب التي تقود اليوم مسيرة النجاح الكوري. أمّا الخطوة الحاسمة الأخرى، فتجسّدت في تبني صنّاع السياسات لنهج مبتكر في التمويل الثقافي. نجحت الحكومة في السيطرة على صناديق رأس المال المغامر، كما تصف لي، من خلال التعاون الوثيق مع المستثمرين لتسريع وتيرة نمو الشركات الناشئة في القطاعات الإبداعية ومشاريع الإنتاج الثقافي: فلقد لعب سوق رأس المال المغامر المخصص للثقافة، وهو ابتكار فريد في السياسة الثقافية والصناعية الكورية، دور البطولة في قصّة التحوّل."

> يتحدث كثير من الناس الآن عن القوة الناعمة والديمقراطية الثقافية.
> يمكن استخدام الثقافة لترويج الأمم على الساحة العالمية
>
> **الدكتورة هاي-كيونغ لي**
> أستاذة السياسات الثقافية
> كلية كينجز لندن

تمويل المشاريع الناشئة الثقافية

يرسم مايك فان غران، رائد المسرح المستقل والرئيس السابق للشبكة الأفريقية للسياسات الثقافية، صورة واضحة للتحدي الأكبر: لا يمكن بناء قطاعات ثقافية وإبداعية مزدهرة دون دعم المشاريع الناشئة في مهدها من جانب صنّاع السياسات.

يضيف فان غران: "تضع الطبيعة المتقلبة للعمل الفني وتدفقاته المالية غير المنتظمة عقبات شبه مستحيلة أمام الفنانين عند طرق أبواب مصادر التمويل التقليدية كالبنوك،

والحقيقة التي لا مفر منها هي أن آلية تمويلية واحدة لا يمكن أن تلبي الاحتياجات الإبداعية المتنوّعة. على صنّاع السياسات أن يدركوا تنوّع الأدوار التي تؤديها الفنون في النسيج المجتمعي، وأن يصمموا آليات تمويلية تعكس هذا التنوّع، يوضح فان قائلًا: "فالأعمال الفنية المحمّلة برسالة اجتماعية - كمسرحية تنادي بتمكين المرأة في مجتمع تقليدي - تحتاج إلى مظلة حماية ودعم من المؤسسات العامة كمجلس الفنون الوطني، فلا يمكن لشباك التذاكر وحده أن يضمن استمرارها،

"في المقابل، قد تجد المشاريع الإبداعية ذات الآفاق التجارية الواعدة - كالمسرحيات الموسيقية - طريقها إلى دعم المستثمرين في المؤسسات المختلفة، رغم العثرات الأولى التي تواجهها في مسيرتها. وتظل هناك حاجة ماسة لسياسات وآليات تمويل مُصمّمة خصيصًا للمشاريع الإبداعية الصغيرة الناشئة، من قروض ميسّرة منخفضة الفائدة ومنح تأسيسية تمهد لها الطريق." ويمكن للدعم العيني، كتوفير الأماكن بإيجارات رمزية أو مجانية، أن يُقدّم طوق نجاة لهذه المشاريع الثقافية الواعدة.

العُلا، المملكة العربية السعودية: لقاء الثقافة والطبيعة في رؤية مستقبلية

تقدّم المملكة العربية السعودية نموذجًا ملهمًا آخر في تبنّي اتجاهات مبتكرة للاستثمار في القطاعات الثقافية والإبداعية، من خلال باقة طموحة من البرامج الثقافية - يتصدرها مشروع إعادة إحياء محافظة العلا التاريخية برؤية مستقبلية فريدة.

هنا، تقف الثقافة كحجر الزاوية في عملية تحوّل شاملة ومستدامة. يجسّد المخطط الرئيسي "رحلة عبر الزمن" في العُلا رؤية طموحة لنهج تخطيطي متكامل ضمن مشهد ثقافي يستمد ملامحه من المبادئ الاثني عشر للتطوير. في طليعة هذه المبادئ يأتي إعادة صياغة الروابط بين الإنسان ومحيطه الطبيعي والثقافي، وتحويل المواقع التراثية إلى مساحات نابضة بالحياة للتعلم والإبداع الثقافي والتواصل المجتمعي.

ولتحويل هذه الرؤية الطموحة إلى واقع ملموس، تُوجّه الاستثمارات الحكومية لتأسيس مراكز فنون مجتمعية، وبث الروح في أحياء كاملة لتصبح منارات ثقافية متألقة، وتنظيم مهرجانات فنية عالمية تجذب أبرز المواهب من شتى أنحاء المعمورة.

النهج المتّبع في العلا مُصمّم ليكون متكاملًا بكل أبعاده، كما تصفه كيت هول-تيبينغ، المديرة التنفيذية لتخطيط القطاع الثقافي في الهيئة الملكية لمحافظة العلا: "نتبنى رؤية شمولية وإبداعية متعددة الأبعاد تحتضن روح العلا الفريدة - بكل ما تزخر به من تراث طبيعي وثقافي، ومجتمعات نابضة بالحياة، وهوية متفردة - لنحافظ على هذا الكنز ونحتفي به."

> نأخذ نهج متكاملة ومبتكرة ومتعدد الأبعاد ذلك يضمن تفرد العلا من حيث طبيعتها وثقافتها وتراثها و مجتمعاتها. هوية المنطقة محترمة ومحفوظة ومحتف به.
>
> **كيت هول-تيبينغ**
> المدير التفيذي لتخطيط القطاع الثقافي
> الهيئة الملكية لمحافظة العلا

تطوير حي الجديدة للفنون

في قلب العلا، يعمل الاستثمار في حي الجديدة للفنون على إعادة إحياء حي كامل وتوفير فرص ثقافية جديدة تمزج بين التراث المحلي والتأثيرات العالمية.

يمثّل مركز مدرسة الديرة جوهرة التاج في هذا المشروع الطموح. هذا الصرح، الذي كان في الماضي مدرسة للبنات، تحوّل اليوم إلى منارة إبداعية تحمل على عاتقها مهمة نقل الحرف والفنون التقليدية للمجتمع المحلي، من النحت على الحجر إلى حياكة سعف النخيل، ومن صياغة المجوهرات إلى التطريز والخزف.

تكشف نورا الدبل، المديرة التنفيذية للفنون والصناعات الإبداعية في الهيئة الملكية لمحافظة العلا، عن الأثر متعدد المستويات للمركز. "يتجاوز دور المركز مجرد تنمية المهارات على المدى الطويل وتقديم التدريب في مجالات التصميم والحرف اليدوية للمجتمع المحلي، ليصبح نافذة حية تتيح للزوار والسياح استكشاف الثقافة المحلية."

وبينما يستلهم برنامج المركز جذوره من التراث الثقافي العريق للمنطقة، فإنه يُفسح المجال أيضًا لتفسيرات معاصرة مبتكرة، وهذا ما توضحه كيت هول-تيبينغ من الهيئة الملكية للعلا. تقول هول-تيبينغ: "نحتفي بالفنون التقليدية، لكن إعادة تفسيرها برؤية إبداعية معاصرة هو ما يحوّلها من تراث صامت إلى إبداع حي وتعبير فني متجدد، وها نحن نشهد هذا الازدهار الإبداعي يتألق في سماء العلا يومًا بعد يوم.".

يمتد نجاح حي الجديدة كمركز إبداعي متكامل إلى ما هو أبعد من جدران مدرسة الديرة، مرتكزًا على رؤية شاملة متعددة الأبعاد. فبين جنباته، تفتح مساحة العلا الجديدة للتصميم أبوابها، وهي أول صالة عرض معاصرة دائمة في المنطقة تحتفي بإبداعات الفنانين المحليين والعالميين. كما يحتضن الحي مركز العلا للموسيقى، وسينما تحت النجوم تسرد حكايات السينما العالمية، ومجموعة من المطاعم، ومكتبة عامة تخدم مختلف أغراض المجتمع. ويجري العمل بخطى حثيثة على إنشاء مؤسسة فنية ستشكل نقطة انطلاق محورية لكل ما يزخر به الحي من فن وإبداع.

تمثل الشراكات، من منظور استراتيجي، مثلما تؤكد الدبل، عنصرًا جوهريًا في رحلة ترسيخ مكانة العلا كوجهة ثقافية عالمية، فتتشكّل ملامح متحف الفن المعاصر، على سبيل المثال، بالتعاون مع مركز بومبيدو الباريسي العريق، ليكون نافذة تطل منها أبرز أعمال كبار الفنانين العالميين على العلا. وفي عام 2023، شهدت العلا حدثًا استثنائيًا حين حمل مدير متحف آندي وارهول في بيتسبرغ الأمريكية معه 70 عملاً من إبداعات وارهول إلى قلب صحراء العلا. تقول الدبل: "شركاؤنا هم أصحاب المصلحة الرئيسيون في مسيرة تطورنا، فالحوار والتبادل والتعلم المشترك عناصر لا غنى عنها في رحلتنا."

ما بعد تجربة بيلباو

حين نتحدث عن دور الثقافة في صناعة الوجهات السياحية، غالبًا ما تتجه الأنظار نحو المؤسسات الرائدة والمباني الأيقونية. وبالفعل، تنجح هذه الاستراتيجية في تأسيس مركز جذب محوري، يُعيد تشكيل هوية المكان ويمارس سحرًا خاصًا يجذب إليه زوّاره.
فها هو متحف غوغنهايم في بيلباو يحتفي بعامه الأكثر نجاحًا في 2023، مستقبلًا أكثر من 1.3 مليون زائر بين معارضه المميزة. لكن القصة الحقيقية وراء نجاح بيلباو تكمن فيما وراء هذا المشهد.
فالاستقرار السياسي، على سبيل المثال، مهّد الطريق أمام تبنّي استراتيجية راسخة والتزام على المدى الطويل. ظهر ذلك جليًا في قصّة إينياكي أزكونا، الذي قاد بيلباو كعمدة للمدينة بين 1999 و2014، وتُوج بلقب عمدة العالم عام 2012 لدوره في تحويل بيلباو من مدينة صناعية إلى عاصمة للثقافة. "نجح في قيادة دفّة التغيير على المدى الطويل وتنفيذ رؤية المخطط الرئيسي، جامعًا بين عناصر متنوعة في مشهد واحد."

وكان هذا النهج المتكامل - أكثر من تأثير صرح معماري منفرد - هو مفتاح النجاح الحقيقي.

> إيناكي أزكونا [العمدة السابق لمدينة بلباو] كان قادرا على تنفيذ تغيير على المدى الطويل واتخاذ نهج المخطط الرئيسي
>
> **كيت هول تبنق**
> المدير التفيذي لتخطيط القطاع الثقافي
> الهيئة الملكية لمحافظة العلا

الاستثمار في البنية التحتية الثقافية يشهد ازدهارًا

شهد عام 2022 انتعاشة قوية في الاستثمار بالبنية التحتية الثقافية، من متاحف وصالات عرض ومراكز فنون أدائية ومجمّعات فنية متعددة الوظائف وأحياء ثقافية، بعد فترة ركود فرضتها جائحة كوفيد-19.

ويكشف أحدث مؤشر للبنية التحتية الثقافية الصادر عن شركة AEA للاستشارات عن إطلاق 225 مشروعًا جديدًا في عام 2022، بقيمة تقديرية بلغت 7.3 مليار دولار. وعلى مدى السنوات السبع الماضية، تصاعد عدد المشاريع المعلنة بمعدل نمو بلغ 9 بالمئة سنويًا. وبينما تتصدّر المتاحف وصالات العرض المشهد الاستثماري، ظهرت المراكز الفنية متعددة الوظائف كنجم صاعد يُنتظر منه الكثير، وخير مثال على ذلك، مركز 92NY في نيويورك الذي زادت شعبيته في 2022. وارتقت أهمية المجمعات الثقافية المتكاملة إلى مستويات غير مسبوقة، مع طفرة ملحوظة بلغت 47 بالمئة في عدد المشاريع المخصصة لتطوير الأحياء الثقافية.

وفي خريطة الاستثمارات العالمية، هيمن الرباعي القوي - أستراليا والصين والمملكة المتحدة والولايات المتحدة - على المشهد، مستحوذًا على 66 بالمئة من إجمالي الاستثمارات. كما سجّلت مناطق أخرى نموًا استثنائيًا. فالهند، على سبيل المثال، شهدت قفزة مذهلة في حجم الاستثمار من 51 مليون دولار إلى 235 مليون دولار، متجاوزة ثلاثة أضعاف قيمتها السابقة.

2

الإنسان والثقافة:

المجتمعات في قلب المشهد

نشهد اليوم تحولًا عميقًا في فلسفة التنمية الثقافية وسياساتها، يضع المجتمع في قلب المشهد. فقد أدرك القادة الرواد أهمية مشاركة المجتمعات في التعبير الثقافي، واستفادتها من مزايا المشهد الثقافي والإبداعي الحيوي

قضية الثقافة

يرسم مايك فان غران ثلاثة نماذج فكرية لفهم الثقافة والقطاعات الإبداعية من منظور السياسات.

النموذج الأول يستند إلى حقوق الإنسان، متبنيًا نهج "الفن من أجل التنمية البشرية". كما تنص المادة 27 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: "لكل شخص حق المشاركة الحرة في حياة المجتمع الثقافية"، وفي الاستمتاع بالفنون. شكّل هذا النموذج حجر الأساس في سياسات جنوب أفريقيا بعد حقبة الفصل العنصري، ولا يزال يحمل أهمية بالغة في مناطق كثيرة من العالم تفتقر فيها المجتمعات المهمّشة إلى المرافق الثقافية. كما يؤكّد هذا النموذج على حرية التعبير الإبداعي، عبر ضمان توفير الموارد الضرورية لإنتاج الفن وإيصاله للجميع.

النموذج الثاني هو "الفن للتنمية الاجتماعية" ويصبح فيه الفن أداة للتغيير المجتمعي، مثل مسرحية تنشر الوعي حول فيروس نقص المناعة البشرية وسبل الوقاية منه، أو حفل موسيقي يبث رسائل تناهض العنصرية. يعتمد هذا النموذج على الاستثمار الاجتماعي المؤسسي (بدلاً من التمويل التسويقي التقليدي) أو الموارد العامة كتلك المتاحة من وزارة الصحة.

أما النموذج الثالث، الذي تصاعد تأثيره في السنوات الأخيرة، فهو "نموذج الصناعات الإبداعية المدفوع بالسوق،" كما يشير فان غران. هذا النموذج، الذي تقوده دول الشمال العالمي والمنتشر عالميًا عبر مؤسسات مثل المجلس الثقافي البريطاني، يركّز جهوده على دعم القطاعات الإبداعية ذات الجدوى التجارية. يقول فان غران: "تختلف نماذج التمويل والمبادرات السياسية هنا جذريًا عما نراه في النموذجين الأول والثاني."

ويطرح رؤية أكثر شمولًا تدعو إلى "سياسة ثقافية وليس مجرد سياسة فنية"، معترفًا بالقيمة الشاملة للثقافة في نسيج الحياة. ويُضيف فان غران: "نتحدث عن منظومة القيم والرؤى العالمية وطرق صياغة المعنى للأفراد والمجتمعات حول العالم، تلك العناصر التي تشكّل أنماط تفاعل البشر مع بعضهم، فهذا الفهم العميق للسياسة الثقافية وتطبيقاتها يجب أن يتخطى أسوار وزارة الفنون والثقافة ليمتد إلى كل الوزارات الحكومية الأخرى."

ونشهد اليوم وعيًا متصاعدًا بقيمة النشاط الثقافي في حد ذاته، كعنصر جوهري في تشكيل الهوية المجتمعية. يضيف فان غران مؤكّدًا "خلال السنتين أو السنوات الثلاث الماضية، شهدنا تحولًا دقيقًا لكنّ أثره عميق، بدءًا من هيمنة نموذج القطاعات الإبداعية المدفوع بالسوق، نحو إدراك الثقافة كسلعة عامة قائمة بذاتها، فنحن لسنا مجرد كيانات مادية تسعى للبقاء - بل كائنات لها احتياجات عاطفية ونفسية وفكرية عميقة. وهذا ما يجعل دعم الثقافة والفنون كسلع عامة ضرورة حتمية، نظرًا لدورها الحيوي في التنمية البشرية والاجتماعية والاقتصادية."

يضيف فان غران: "كل دور من هذه الأدوار يستدعي آليات تمويلية تتناغم مع طبيعته الفريدة. تتنوع هذه الآليات لتشمل مجلسًا وطنيًا للفنون يدعم التنمية البشرية والفن لذاته، واستثمارات اجتماعية من الشركات لرعاية الفن ذي الأثر الاجتماعي المباشر الذي قد لا يجد سوقًا تجارية رغم حاجة الجماهير لرسائله، إضافة إلى قروض ميّسرة منخفضة الفائدة وتمويل استثماري للفنون ذات الإمكانات الاقتصادية الواعدة."

> غالبًا ما يركز صنّاع السياسات على المؤشرات الاقتصادية للأثر، مثل عدد الوظائف المدعومة، وكأنها النتيجة النهائية، بينما هي في الواقع مجرد ثمرة جانبية رائعة تتحقق عندما ننجح في تعزيز الثقافة وتحقيق التغيير المستدام.
>
> **سالي شو**
> مديرة
> فيرست سايت

الثقافة في قلب المجتمع

يتجسّد مفهوم الثقافة كمنفعة عامة في المؤسسات المبتكرة حول العالم، بما فيها تلك التي تتحدى الوضع الراهن في الدول المتقدمة.

من بين هذه المؤسسات "فيرست سايت"، وهي صالة عرض للفن المعاصر في مدينة كولشستر البريطانية. تقول مديرتها، سالي شو، إن المؤسسات الإبداعية تزدهر حين تكون قريبة من مجتمعاتها، تشركها في الحوار وتبتكر طرقًا خلاقة لتمثيل هويتها بأصالة حقيقية.

بهذه العقلية الملهمة، يتجاوز تأثير "فيرست سايت" حدود صالة الفنون التقليدية. فعلى سبيل المثال، استطاع برنامجها "مرح العطلات" أن يمد جسور الأمل إلى ربع أطفال كولشستر الذين يعيشون تحت خط الفقر. تقول شو بفخر: "على مدى سبع سنوات، قدمنا 23,000 وجبة، وبذلك فتحنا أبواب عالم المعارض الفنية أمام آلاف العائلات للمرة الأولى في حياتهم." فمن خلال الاستجابة للأولويات الملحة للمجتمع، وسّعت "فيرست سايت" نطاق تأثيرها وأشركت شريحة أكبر من المجتمع في الأنشطة الإبداعية والثقافية.

تحذر شو من أن التمويل العام للثقافة والفنون يواجه ضغوطًا في المملكة المتحدة، وتعرب عن قلقها من أن الأطر السياسية قد لا تبذل جهدًا كافيًا لتشجيع إتاحة الأنشطة الثقافية أمام الجميع. تضيف شو: "ثمة خلل في منظومة التفكير حول التمويل والدعم، لأن النظرة إلى الثقافة نفسها خاطئة، فيركّز صناع السياسات على المؤشرات الاقتصادية كعدد الوظائف المدعومة كهدفٍ نهائي، بدلًا من اعتبارها نتيجة طبيعية للممارسة الثقافية السليمة."

لكنّ صنّاع السياسات الآخرين بدأوا يدركون أن تحقيق الثقافة في سياقها الصحيح يأتي بمجموعة واسعة من المنافع. ويمكن أن يجمع المجتمعات معًا لتتولى زمام حياتها الثقافية، ويوفر هوية متماسكة تجعل من المدن والبلدات الجديدة وجهات مزدهرة للسياحة الثقافية.

المجتمعات مسؤولة عن تشكيل مصيرها الثقافي

تنعكس الرؤية المجتمعية للنشاط الثقافي، المرتكزة على الإبداع اليومي وتمكين المجتمعات من رسم ملامح ثقافتها، بعمق على توجّهات صناع السياسات.

تُقدّم كيت هول-تيبينغ رؤية حية لهذا التوجه من خلال المتاحف التي يجري تأسيسها في العلا. وتقول: "نسعى بشغف لأن تكون متاحفنا انعكاسًا حقيقيًا لروح المجتمع، مفتوحة أمام الجميع، "نسترشد في ذلك بتعريف المجلس الدولي للمتاحف (ICOM) لعام 2022، الذي يرى المتاحف "كمؤسسات في خدمة المجتمع [...] مفتوحة للجمهور وتحتضن الجميع."

وهكذا فإن متاحف العلا الخمسة متاحة للجميع ويقودها المجتمع، مثلما تؤكّد هول-تيبينغ. "نؤمن أن المتاحف يجب أن تكون أماكن للحوار المفتوح والتواصل الإنساني. في العلا، نصمم متاحفنا كمساحات آمنة يتبادل فيها الناس حواراتهم - أكاديمية كانت أم غير ذلك - حول ما يشغل بالهم ويمس حياتهم. ستكون متاحفنا ملتقيات تنبض بالحياة وتثريها النقاشات. ونحن، كمخططين ثقافيين، نتعهد بالإصغاء ومنح المجتمعات مساحة الحرية لرسم أفق مستقبلها - فهذه المؤسسات يجب أن تستنير برؤية من تخدمهم."

إعادة تصوّر دور المتحف

في خريف 2024، سيفتح مركز جون راندل لثقافة وتاريخ اليوروبا أبوابه في لاغوس، نيجيريا، مقدمًا رؤية حيوية جديدة لمفهوم المتحف. ينطلق هذا المركز متحررًا من أغلال النظرة الأوروبية للفن الأفريقي، ليقدم مساحة تفاعلية نابضة بالحيوية والديناميكية. والأهم، كما يكشف ويل ريا، رئيس أمناء المتحف، أن ثقافة اليوروبا تحتل مكان الصدارة، متجاوزةً بذلك تقليد حصرها في الطوابق السفلية كما درجت المؤسسات الغربية في تعاملها مع المعارض الأفريقية.

يضيف ريا: "نشهد للمرة الأولى ثقافة أفريقية تروي قصتها بصوتها، ولأبنائها، متحررةً من قيود العرض الاستعماري التقليدي، ويظهر هذا التحرر في كل تفصيلة، من تصميم المبنى إلى الفهم العميق للمعرض الذي يظهر كيف تحافظ التقاليد على حضورها الحي في الحاضر وتمتد بجذورها نحو المستقبل."

يطمح المتحف إلى منح سكان لاغوس - والزوّار المحليين والدوليين - رؤية أصيلة لثقافة اليوروبا وبصماتها العميقة على الثقافة العالمية، من إيقاعات السالسا البرازيلية إلى نبض موسيقى الأفروبيت.

التراث الحي: الأصالة والاستمرارية الثقافية

تقف المجتمعات حارسة أمينة لحماية كنوز تراثها الثقافي.

وتتعمق هذه المسؤولية في المجتمعات العريقة، التي يشكل فيها التراث الملموس -من عمرانٍ وبناء- جزءًا لا يتجزأ من التراث الثقافي. تلقي ياسمين مكارون، رئيسة المجلس الدولي للمعالم والمواقع في لبنان (ICOMOS Lebanon)، الضوء على خصوصية هذا البعد في منطقة الشرق الأوسط. تقول مكارون: "في لبنان وسوريا والأردن، وعبر كل الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، نحيا في كنف مجتمعات تقليدية ذات أصول متجذرة، فالتاريخ هنا ليس ذكرى، بل حياة يومية نعيشها." لكن رياح التحديات الاقتصادية تهب اليوم على هذا التراث المشترك. فقد أشعل السياح الباحثون عن سحر الوجهات الأصيلة شغف المستثمرين بالمباني التراثية المهجورة، التي غادرها ساكنوها طلبًا لوسائل الراحة الحديثة. لكن هذه الصحوة الاقتصادية حملت في طياتها مفارقات مقلقة. تقول مكارون: "نرى اليوم موجة معمارية تختلق تراثًا مزيفًا وتاريخًا مصطنعًا، ساعيةً وراء الربح السريع." ويتنامى القلق من ميل السلطات التخطيطية لتفضيل مشاريع البناء الحديثة على إحياء المواقع ذات القيمة الثقافية الأصيلة.

تحتاج السلطات المحلية لبوصلة دقيقة في رحلة التطوير الاستراتيجي، مع وضع دعم المجتمع في قلب المعادلة. تؤكد مكارون: "جوهر التنمية المحلية يكمن في إشراك المجتمعات،" والهدف هو بناء "تراث حي": يتكيّف مع العصر ويحمي الأحياء التاريخية لا كشواهد صامتة، بل كأماكن نابضة بالحياة تزدهر فيها مجتمعات اليوم.

> للشعب اللبناني والسوري منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بأكملها، لدينا مجتمعات متمسكة بتقاليدها. علاقتنا بالتاريخ هي أمر يومي.
>
> **ياسمين معكرون**
> رئيسة
> الآيكوموس

3

المنصات الثقافية:

تأثير تطوير الوجهات على الحوار العالمي

تتمتّع المشاريع التنموية بالقدرة على إنشاء منصات إبداعية جديدة، تتحوّل إلى محركات تبعث الحياة في المكان والمجتمع. فالاستثمار في هذه المنصات الثقافية يستطيع أن يغير مسارات الحوار، مانحًا المجتمعات مفاتيح ثقافتها وهويتها، لتروي للعالم حكايات مختلفة. هذا التحوّل يتحدى المسلمات السائدة - ويعيد تعريف "هوية" المكان كقوة ثقافية صاعدة، راسمًا صورة شاملة وأصيلة له.

في العلا، يعكس تربع الثقافة على عرش مخططها الرئيسي عمق تاريخها الإنساني الممتد عبر مئتي ألف عام. تشير كيت هول-تيبينغ أنه ينبغي رؤية المشروع الحالي من خلال عدسة هذا التاريخ العريق. "تتمتّع العلا بآلاف السنين من الإرث الثقافي. ونحن نضيف فصلًا جديدًا إلى هذا التاريخ الحافل."

وتوضح هول-تيبينغ أن تجديد العلا كوجهة ثقافية يفتح نافذة لرواية قصص جديدة عن المنطقة وأهلها. "خارج حدود المنطقة، ربما لم تحظ ثروتنا الثقافية بالمنصة التي تستحقها - لكن المشهد يتغير اليوم. تقف العلا في طليعة دعم المبدعين الذين يصنعون التاريخ ويقدمون رؤى ثرية، تمتد جذورها في الماضي وتتناغم مع الحاضر."

تبادل المعرفة محرك لا غنى عنه للنهضة الثقافية

في مشهد ثقافي متجدد، تمد الوجهات الثقافية الناشئة جسور التعاون، لبناء شبكات لتبادل المعرفة والرؤى في رحلة تطورها. في كثير من الحالات، تبتكر هذه الوجهات نماذج فريدة تنبع من عمق تراثها المتفرّد.

يرصد تقرير *"البدائل الأفريقية 2024"* الصادر عن منتدى ثقافة المدن العالمية - شبكة تضم أكثر من 40 مدينة إبداعية تسعى لجعل الثقافة في قلب تخطيط المدن والاستثمار. يكشف التقرير عن تطلّع صنّاع السياسات والقادة الثقافيين لتعزيز دور المعرفة الأفريقية الأصيلة في صياغة السياسة الثقافية، مؤكدًا دور الشبكات كمصادر للتعلم المشترك.

يستند هذا التوجه إلى إدراك عميق لقوة الثقافة. ويختتم التقرير قائلًا: "سيواجه القادة تحدي تحقيق التوازن بين التحديث المتسارع واحتضان الهويات والتواريخ الأفريقية،" ويضيف أن دور الثقافة في تشكيل الهويات الفردية والجماعية "يغذي روح الوحدة والانتماء، متجاوزًا الحواجز الجغرافية والاجتماعية."

تظهر كيب تاون كنموذج ملهم في التقرير. فبصفتها عضوًا في شبكة اليونسكو للمدن المبدعة، تقود المشهد الثقافي، وتُضيف التعبير الثقافي والإبداع إلى قلب التنمية الحضرية المستدامة. تحتضن المدينة مجموعة متنوعة من المواقع الفنية والثقافية والتراثية، من واجهة في آند إيه المائية الشهيرة التي تضم مساحة واترشيد للحرف والتصميم، إلى جزيرة روبن، ومركز آرت سكيب للمسرح، ومتاحف إيزيكو، وغيرها.

> المعارض الفنية هي الأماكن التي يمكننا أن نتخيل مستقبل مختلف من وجهات نظر مختلفة. إنها منصة لنا لنتخيل ونتواصل عن المستقبل.
>
> **سالي شو**
> مديرة
> فيرست سايد

المؤسسات الثقافية يمكنها إعادة تشكيل الحوار العالمي

ترى أعداد متزايدة من المخططين في الثقافة والإبداع بوصلة تهدي البشرية في مواجهة تحديات العصر، من الأزمات الصحية إلى تقلبات البيئة واضطرابات المجتمع.

تؤمن سالي شو بأن الفنون البصرية تلعب دورًا محوريًا في مساعدة الناس على تخيل آفاق جديدة معًا. تقول شاو: "صالات الفنون هي الأماكن التي يمكننا فيها تخيل سيناريوهات مستقبلية متعددة، من منظورات مختلفة، فهي مساحات نجتمع فيها لنتخيل الغد ونتحاور حوله."
ويسلّط مايك فان غران الضوء على قدرة المسرح على تحدي المسلمات الراسخة. وقد قدم مؤخرًا مسرحية ساخرة حول المشاركة السياسية في المسارح والمهرجانات - "المسار التقليدي"، على حد وصفه. "لكننا نقلنا المسرحية إلى قرى المتقاعدين، وقاعات المدارس، والمؤسسات الدينية، وحتى منازل الناس. نقدم العرض ثم نفتح باب الحوار مع الجمهور. نغير العالم عبر تغيير العقول والقلوب."

المنصات الرقمية تعزز الروابط العالمية الجديدة

تفتح التكنولوجيا الرقمية نافذة إبداعية تمتلك إمكانات هائلة لمساعدة الأصوات المتنوعة والأصيلة في الوصول إلى الجماهير العالمية. كما تمتلك القدرة على وضع الوجهة الثقافية على الخريطة العالمية.

في طليعة هذا التحوّل الذي يعتمد على الابتكار، تأتي تقنية النمذجة ثلاثية الأبعاد المتطورة، التي طورتها مؤسسة CyArk غير الربحية في الولايات المتحدة. وتقدّم نماذجها الرقمية للمواقع التراثية مجموعة غنية من المزايا: فهي تمد جسورًا لتصل إلى جماهير جديدة عبر المسافات البعيدة، وتوفّر تجارب غامرة دون عناء السفر. هذا يفتح أبواب الثقافة على مصراعيها، ليشارك حتى من تمنعهم الظروف من الزيارة الفعلية في رحلة اكتشاف التراث. وعبر توثيق المواقع التاريخية بتفاصيل دقيقة، تدعم هذه النماذج جهود الحفاظ على كنوز التراث - خاصة حين تتعرض للتهديد، سواء من نيران النزاعات أو تقلبات المناخ.

تُتيح منصة CyArk دمج الصوت والصورة المتحركة في نماذجها الرقمية، فاتحة مساحة أرحب للحوار حول كنوز التراث الثقافي. تشرح إليزابيث لي، نائبة رئيس البرامج والتطوير في CyArk، الأمر قائلةً: "نستطيع سرد الحكايات التي يصعب روايتها وجهًا لوجه، ونقدم زوايا نظر متعددة قد لا تتاح للزائر الفعلي، فالزائر العادي قد لا يلتقي كل أفراد المجتمع ليسمع قصصهم، لكن النسخة الرقمية تفتح هذا الباب."

وتحقيقًا لهذه الغاية، تعمل CyArk مع المجتمعات المحلية لتوثيق قصصها، وغالبًا ما تدرب أفراد المجتمع على التصوير الفوتوغرافي، والتصوير ثلاثي الأبعاد، وتصوير الفيديو، ورواية القصص. تؤكد لي: "هكذا نمكن المجتمعات المحلية من أن تكون مشاركة في صنع تاريخها وثقافتها."

الخاتمة

يضع المخطّطون الثقافيون اليوم الاستثمار في النشاط الثقافي والإبداعي في قلب مشاريع التنمية العالمية. فيما يلي خمس طرق لتحقيق أقصى استفادة من هذه الاستثمارات.

كيف نصبح قوةً ثقافية

1 تمكين المجتمعات من تفسير ثقافتها ومشاركتها

إشراك المجتمعات في صياغة هوية المكان وتمكينها من رسم ملامح تاريخها وتقاليدها وأولوياتها في التعبير الثقافي. منحها مفاتيح إعادة تفسير تراثها وتشكيل طريقة مشاركة هويتها مع العالم.

2 تبني نهج متكامل لمبادرات الثقافة والتنمية

يشكل التراث الثقافي والإبداع عمودًا فقريًا في تشكيل هويتنا، مجتمعات وأفرادًا. على صناع السياسات إدراك القيمة الجوهرية للنشاط الثقافي والإبداعي في تأمين حياة أفضل، مع ضمان توجيه الاستثمار نحو توفير فرص إبداعية يومية، تفتح أبوابها للجميع.

3 آليات تمويلية تدعم الإبداع والثقافة

تشكل القطاعات الإبداعية والثقافية منجمًا من فرص النمو ينتظر من يستكشف كنوزه. على صناع السياسات ابتكار آليات تمويلية خلاقة تفتح آفاقًا جديدة، بدءًا من قروض ميسرة منخفضة الفائدة تمد يدها حيث لا يصل الإقراض التجاري، إلى منح تؤسس للمستقبل، ومساحات إبداعية معفاة من أعباء الإيجار. ينبغي توجيه بوصلة الاستثمار نحو المراكز الإبداعية التي تعكس نبض المجتمع وتحتضن المبادرات والمشاريع الناشئة في مهدها.

4 عقد شراكات ثقافية للارتقاء بالهوية

تملك القطاعات الإبداعية والثقافية مفاتيح سحرية لتحويل صورة الوجهة أو "هويتها"، محليًا وعالميًا، مما يثمر حصادًا اقتصاديًا وفيرًا ومزايا جمّة، خاصة عبر بوابة السياحة الثقافية. وتستطيع الشراكات مع المؤسسات الثقافية العريقة حول العالم أن تشعل شغف الزوار المحتملين، وتبني جسورًا للتبادل الثقافي والحوار الذي يثري التجربة الثقافية.

5 الاستفادة من قوة التكنولوجيا الرقمية

الاستفادة من قوة التكنولوجيا للتفاعل والتواصل مع جماهير جديدة في السياق الثقافي. توظيف منصات التواصل الاجتماعي لفتح نوافذ نصل من خلالها إلى جماهير جديدة، واستكشاف آفاق التقنيات المتطورة لتوفير تجارب ثقافية تتخطى حدود المكان، وإطلاق الأصوات المتنوعة، وتأسيس منصات جديدة للتبادل الثقافي.

شكرًا لخبرائنا

كُتب هذا التقرير بواسطة FT Longitude، قسم القيادة الفكرية المتخصص في مجموعة فاينانشال تايمز.
يستند التقرير إلى رؤى سبعة خبراء شاركوا معنا بكرم خبراتهم.

نود أن نشكرهم على وقتهم:

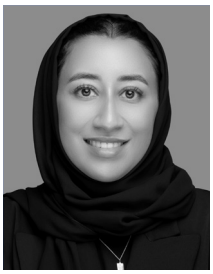

نورا الدبل
المديرة التنفيذية للفنون والصناعات الإبداعية بالهيئة الملكية لمحافظة العلا

كيت هول-تيبينغ
المديرة التنفيذية لتخطيط القطاع الثقافي في الهيئة الملكية لمحافظة العلا

د.هاي-كيونغ لي
أستاذة السياسة الثقافية، قسم الثقافة والإعلام والصناعات الإبداعية، كلية كينجز لندن

إليزابيث لي
نائبة رئيس البرامج والتطوير في CyArk

ياسمين مكارون
رئيسة المجلس الدولي للمعالم والمواقع في لبنان (ICOMOS Lebanon)

سالي شو
مديرة، فيرست سايت

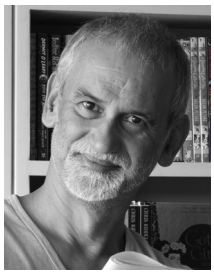

مايك فان غران
كاتب مسرحي والرئيس السابق للشبكة الأفريقية للسياسات الثقافية

الهيئة الملكية لمحافظة العلا

ROYAL COMMISSION FOR ALULA